

تفريغ المحاضرة التاسعة في العقيدة: الأصول الثلاثة

يوم الخميس الموافق 20-9-2018

بشرح فضيلة الشيخ الاستاذ الدكتور/ طلعت زهران- حفظه الله
الدورة النسائية -مصر-الاسكندرية - العصابة - جامع الامام مسلم

الأصل الثالث: معرفة نبيكم محمد صلى الله عليه وسلم

وهو: محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم، وهاشم من قريش وقريش من العرب،
والعرب من ذرية إسماعيل بن إبراهيم الخليل عليه وعلى نبيي أفضل الصلاة والسلام. وله من
العمر ثلاث وستون سنة. منها أربعون قبل النبوة، وثلاث وعشرون نبيا رسولا. نُبِيَ ب {أَقْرَأُ}
وَأُرْسِلَ بِالْمَدَنَةِ، وبلده مكة، وهاجر إلى المدينة. بعثه الله بالندارة عن الشرك ويدعو إلى
التوحيد،

وله عدة أسماء؛ فعن جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ أَنَّ النَّبِيَّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ: «أَنَا مُحَمَّدٌ،
وَأَنَا أَحْمَدُ، وَأَنَا الْمَاحِي الَّذِي يُحْيِي بِي الْكُفْرَ، وَأَنَا الْحَاشِرُ الَّذِي يُحْشِرُ النَّاسَ عَلَيَّ عَقْبِي،
وَأَنَا الْعَاقِبُ، وَالْعَاقِبُ الَّذِي لَيْسَ بَعْدَهُ نَبِيٌّ» ق.

وأشهرها هو محمد ومعناه الذي يُحْمَدُ أَكْثَرَ مِمَّا يُحْمَدُ غَيْرُهُ، وهو علمٌ مشتقٌّ من التحميد ولما
فيه من الخصال الحميدة.

ولقبه أبو القاسم.

وقال أبو سفيان لهرقل لما سأله: كيف هو فيكم؟ قال: هو فينا ذو نسبٍ. قال: وهكذا الرسل
تبعث في أنساب قومها. يعني: في أكرمها أحسابًا.

فهو هاشمي قرشي عربي.

(لَهُ مِنَ الْعُمُرِ ثَلَاثٌ وَسِتُّونَ سَنَةً) عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّهَا قَالَتْ: تَوَفَّى النَّبِيَّ -
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَهُوَ ابْنُ ثَلَاثٍ وَسِتِّينَ. ق

(مِنْهَا أَرْبَعُونَ قَبْلَ النَّبُوءَةِ، وَثَلَاثٌ وَعِشْرُونَ نَبِيًّا وَرَسُولًا)

نُبِيَ ب {أَقْرَأُ} وَأُرْسِلَ بِ {الْمَدَنَةِ}

عن عائشة رضي الله عنها: "جاءه الحق وهو في غار حراء فجاءه الملك فقال له: اقرأ. فقال النبي - صلى الله عليه وسلم - : «ما أنا بقارئ» فذكر الحديث وفيه ثم قال: {اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ} [العلق: 1] إلى قوله: {عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ} [العلق: 5] حينئذٍ (نُبِّئَ بِ {اقْرَأْ}) أي بصدرها (وَأُرْسِلَ) أي بعث (بِ {الْمُدَّثِّرُ})، سئل النبي - صلى الله عليه وسلم - عن فترة الوحي فقال في حديثه: «فيما أنا أمشي إذ سمعت صوتاً من السماء فرفعت رأسي فإذا الملك الذي جاءني بحراء جالساً على كرسي بين السماء والأرض فرجعت فقلت: زملوني، زملوني فدثروني فأنزل الله {يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ} [المدثر: 1].

(وَبَلَدُهُ مَكَّةُ) يعني التي وُلِدَ بها ولد فيها ونشأ بها، ثُمَّ أَرْضِعَ فِي بَنِي سَعْدِ عِنْدَ مَرْضِعَةٍ تَسْمَى حَلِيمَةَ السَّعْدِيَّةِ، ثُمَّ رَجَعَ إِلَى مَكَّةَ عِنْدَ جَدِّهِ عَبْدِ الْمَطْلَبِ، ثُمَّ بَعْدَ وَفَاتِهِ عِنْدَ عَمِّهِ أَبِي طَالِبٍ، مَاتَتْ أُمُّهُ آمَنَةُ بِنْتُ وَهَبٍ وَعَمْرُهُ سِتُّ سِنِينَ وَبَقِيَ بِمَكَّةَ ثَلَاثَ عَشْرَةَ سَنَةً بَعْدَ الْوَحْيِ، ثُمَّ هَاجَرَ إِلَى الْمَدِينَةِ.

(وَهَاجَرَ إِلَى الْمَدِينَةِ) بعد أن هموا بقتله - صلى الله عليه وسلم - فتغيب في الغار، ثم سار هو وأبو بكر مهاجراً إلى المدينة.

والدليل قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ قُمْ فَأَنْذِرْ} فَمَنْ أَنْذَرَ رَبِّكَ فُكِّبَ وَثِيَابَكَ فَطَهَّرَ وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ وَلَا تَمْنُنْ تَسْتَكْبِرُ وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ} 1 ومعنى {قُمْ فَأَنْذِرْ} 2، ينذر عن الشرك ويدعو إلى التوحيد. {وَرَبِّكَ فُكِّبَ} 3، أي: عظمه بالتوحيد. {وَتِيَابَكَ فَطَهَّرَ} 4، أي: طهر أعمالك عن الشرك. {وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ} 5، المدثر آية: 1-2-3-4-5-6-7 الرجز بالأصنام، وهجرها تركها، والبراءة منها وأهلها.

{الْمُدَّثِّرُ} أي المدثر بثيابه متغشي بها من الرعب الذي حصل له من رؤية الملك عند نزول الوحي

{قُمْ فَأَنْذِرْ} يعني فأنذر الناس وخوفهم وحذرهم من عذاب الله تعالى إن لم يؤمنوا، وبهذا حصل الإرسال كما حصل بالأول النبوة.

{فُكِّبَ} أي عَظَّمَ رَبِّكَ بِالتَّكْبِيرِ وَبِغَيْرِهِ

{وَتِيَابِكَ فَطَهَّرَ} أي نفسك طهرها عن الذنوب، كنى عن النفس بالثوب لأنها تشتمله، وقال بعضهم على ظاهرها: ثيابك التي هي الثياب الملبوسة وطهرها عن النجاسات.

{وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ} أي اترك الأوثان ولا تقربها {وَالرُّجْزَ} هو القدر من الرجس كما قال تعالى: {فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ} [الحج: 30]

{وَلَا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ} [المدثر: 6]، أي لا تُعطي مالك مصانعةً لتُعطي أكثر منه.

أو {لَا تَمْنُنْ} على الله بعملك وتستكثره، أو لا تضعف أن تستكثر من الخير.

{وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ} على طاعته وأوامره وعلى الأذى فيه من أجل الدعوة.

أخذ على هذا عشر سنين يدعو إلى التوحيد. وبعد العشر عُرج به إلى السماء، وفرضت عليه الصلوات الخمس، وصلى في مكة ثلاث سنين، وبعدها أمر بالهجرة إلى المدينة.

أَخَذَ عَلَى بَيَانِ التَّوْحِيدِ وَالدَّعْوَةِ إِلَيْهِ وَبَيَانِ الشَّرْكِ وَالْإِنذَارِ عَنْهُ فِي مَكَّةَ.

وَأُسْرِيَ بِجَسَدِهِ وَرُوحِهِ جَمِيعًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ عَلَى الْبِرَاقِ إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ يَقْظَةً لَا مَنَامًا، ثُمَّ صَعِدَ بِهِ جِبْرَائِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَى السَّمَاءِ عَلَى الْمِعْرَاجِ وَهُوَ الْمَصْعَدُ الَّذِي تَصْعَدُ فِيهِ الْمَلَائِكَةُ، كَلَّمَا مَرَّ بِسَمَاءٍ وَتَلَقَّاهُ مَقْرِبُوهَا حَتَّى جَاوَزَهُمْ إِلَى سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى، فَبَلَغَ مِنَ الْإِرْتِفَاعِ وَالْعُلُوِّ إِلَى مَا اللَّهُ بِهِ عَلِيمٌ، وَدَنَا مِنَ الْجِبَارِ جَلْ جَلَالِهِ، وَكَلَّمَهُ بِلَا وَاسْطَةَ، فَأَوْحَى إِلَيْهِ مَا أَوْحَى.

فرض الله تعالى عليه على عبده محمدٍ وعلى أمته، وكان أول فرضها خمسين صلاةً ولم يزل يتردد بين موسى وربه حتى وضعها إلى خمسٍ، فهي خمسٌ وهن خمسون في الميزان.

{وَصَلَّى فِي مَكَّةَ} بعد أن فرضت عليه الصلاة (ثَلَاثَ سِنِينَ) حينئذٍ يكون الإسراء قبل الهجرة بثلاث سنين، وقيل: بخمسٍ، وقيل: سنة، وقيل: نصف سنة.

والصحيح كما هو ظاهر السنة أنه بثلاث سنين لكن تحديده في الشهر أو في اليوم هذا غير معلوم.

{وَبَعْدَهَا} يعني بعد الثلاث عشرة سنة من بعثته (أَمْرًا) بالهجرة. قال ابن عباس، رضي الله عنهما: "بُعث رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لأربعين سنة، فمكث بمكة ثلاث عشرة سنة يوحى إليه، ثم أمر بالهجرة فهاجر عشر سنين، ومات وهو ابن ثلاثٍ وستين".

و (الهِجْرَة) مفارقة المشركين ومساكنهم المشركين بحيث يتمكنون من إظهار دينهم، إلى (المَدِينَة) اختارها الله عز وجل مهاجرًا لنبي - صلى الله عليه وسلم.

(وَالهِجْرَة) في الشرع (الانتقالُ مِنْ بَلَدِ الشَّرْكِ إِلَى بَلَدِ الإِسْلَامِ) وبلد الشرك هو الذي تقام فيه شعائر الكفر ولا تقام فيه شعائر الإسلام كالأذان والصلاة جماعةً والأعياد والجمعة على وجهٍ شاملٍ، يعني لا على فرقةٍ أو طائفةٍ دون آخرين، بل يكون الأمر عامًا في البلد، وأما إذا أقامه البعض المسلمين كالأقليات الموجودة في بعض بلاد الغرب هذا لا يُوحى أو يُحكم على البلد بأنها مسلم لوجود الأذان والشعائر، وإنما المراد بها على وجه العموم.

والهجرة: الانتقال من بلد الشرك إلى بلد الإسلام؛ والهجرة فريضة على هذه الأمة من بلد الشرك إلى بلد الإسلام، وهي باقية إلى أن تقوم الساعة.

(فَرِيضَةٌ عَلَى هَذِهِ الأُمَّةِ) أي ثابتة على أمة الإجابة بالكتاب والسنة والإجماع.

(وَهِيَ باقِيَةٌ إِلَى أَنْ تَقُومَ السَّاعَةُ) يعني إلى قرب قيام الساعة.

والدليل قوله تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضَ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ۚ إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانَ لَّا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا فَأُولَئِكَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَفُورًا غُفُورًا} النساء آية: 97-

98-99

{المَلَائِكَةُ} قيل: المراد به ملك الموت ومن معه من الأعوان.

{ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ} الظلم إنما يقع لترك واجب أو فعل محظور. فهم ظلموا أنفسهم بالإقامة بين أظهر المشركين.

{قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ} أي قالت لهم الملائكة، هذا استفهام إنكارٍ لم مكتتم ها هنا وتركتم الهجرة؟ فهو إنكارٌ وتوبيخٌ وتقريع لهم.

{كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الأَرْضِ} أي عاجزين عن الهجرة والذهاب في الأرض

({قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضَ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا}) يعني إلى المدينة

{فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا} هذا وعيد

فالهجرة واجبة مع القدرة من بلد الكفر إلى بلد الإسلام.

{إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ} الذين لا يستطيعون الخروج {مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوُلْدَانِ} {لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً} لا قوة ولا نفقة على الخروج {وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا}، يعني لا يعرفون طريقاً إلى الخروج من مكة إلى المدينة.

{فَأُولَئِكَ} أي المعذورون بترك الهجرة {عَسَى اللَّهُ} عسى للتحقيق هنا أن {يَعْفُو عَنْهُمْ} يتجاوز عنهم {وَكَانَ اللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا}، {وَكَانَ اللَّهُ عَفُوًّا} يعني يتجاوز عن سيئاتهم {غَفُورًا} لمن تاب إليه.

وقوله تعالى: {يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإَيَّي فَاغْبُدُونِ} العنكبوت آية: 56 قال البغوي رحمه الله تعالى: سبب نزول هذه الآية في المسلمين الذين بمكة لم يهاجروا، ناداهم الله باسم الإيمان.

{قَالَ الْبَغَوِيُّ} أبو محمد الحسين بن مسعود الفراء رحمه الله تعالى: {سَبَبُ نَزُولِ هَذِهِ الْآيَةِ فِي الْمُسْلِمِينَ الَّذِينَ فِي مَكَّةَ لَمْ يُهَاجِرُوا، نَادَاهُمُ اللَّهُ بِاسْمِ الْإِيمَانِ} وإذا ناداهم باسم الإيمان حينئذ ثبت لهم الإيمان.

والدليل على الهجرة من السنة قوله صلى الله عليه وسلم: "لا تنقطع الهجرة حتى تنقطع التوبة، ولا تنقطع التوبة حتى تطلع الشمس من مغربها".

أبو داود: الجهاد (2479) ، وأحمد (99/4) ، والدارمي: السير (2513) .

«لَا تَنْقَطِعُ» الانقطاع: يعني حتى لا تقبل التوبة ممن تاب، فما دامت التوبة مقبولة فالهجرة واجبة بحالها. فإذا طلعت الشمس من المغرب حينئذ لم تقبل توبة فلا هجرة.

إذا هذه النصوص الثلاث التي أوردها المصنف تدل على أن الهجرة فريضة على أمة الإجابة من بلد الشرك إلى بلد الإسلام. فكل من لم يتمكن من إظهار دينه والدعوة إليه تُشرع له الهجرة، فإن كان من بلد الشرك إلى بلد إسلام فهي هجرة، وإن لم يكن كذلك فهو واجب لكنه لا يُسمى هجرة، حينئذ لا بد من استفتاء شرطين:

الأول: القدرة، والثاني: عدم التمكن من إظهار دينه.

فإن أمكنه أن يُظهر دينه لا تجب، ولكنها تكون مستحبة.

ومن لا هجرة عليه وهو العاجز المستضعف عن الهجرة كالمريض أو المكره فيجب عليه اعتزالهم والصبر على أذاهم.

ولا تُستحب الهجرة على القادر على إظهار دينه.

فلما استقر بالمدينة أمر ببقية شرائع الإسلام، مثل الزكاة والصوم والحج والجهاد والأذان، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وغير ذلك من شرائع الإسلام.

أخذ على هذا عشر سنين وبعدها توفي صلوات الله وسلامه عليه، ودينه باقٍ، وهذا دينه، لا خير إلا دل الأمة عليه، ولا شر إلا حذرنا منه.

الزكاة: فُرِضت في مكة على الصحيح لكن بينت أنصبتها في المدينة.

وَالصَّوْمُ: وفرض في السنة الثانية من الهجرة

(وَالْحَجَّ) في السنة التاسعة

(وَالْجِهَادِ) وهو بذل الوسع في قتال الكفار خاصة.

(وَالْأَذَانَ) شرع في السنة الأولى من الهجرة

(وَالْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ) والمعروف هو ما عرف حسنه شرعاً

(وَالنَّهْيَ عَنِ الْمُنْكَرِ) وهو ما عرف قبحه شرعاً

(وَعَيْرِ ذَلِكَ مِنْ شَرَائِعِ الْإِسْلَامِ)

(أَخَذَ عَلَى هَذَا) بيان الشريعة في المدينة (عَشْرَ سِنِينَ، وَبَعْدَهَا تُوفِي - صَلَاةُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ

عَلَيْهِ) يوم الاثنين والمشهور أنه الثاني عشر من شهر ربيع الأول.

(وَدِينُهُ بَاقٍ) موجودٌ باقٍ حواه الكتاب والسنة إذ الدين هو الوحي، مؤيدٌ محفوظٌ إلى يوم

القيامة كما قال عليه الصلاة والسلام: «تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا كتاب الله

وسنتي»

(وَهَذَا دِينُهُ) كل ما سبق دينه

(لَا خَيْرَ إِلَّا دَلَّ الْأُمَّةَ عَلَيْهِ، وَلَا شَرَّ) كان أو سيكون (إِلَّا حَذَرْنَا مِنْهُ).

والخير الذي دل عليه: التوحيد، وجميع ما يحبه الله ويرضاه. والشر الذي حذر منه: الشرك
وجميع ما يكرهه الله ويأباه. بعثه الله إلى الناس كافة. وافترض الله طاعته على جميع
الثقلين: الجن والإنس.